



أمور لا تصح حول الموت

المحاضرات

محاضرة في الأردن - عمان

2021-08-30

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الإكثار من ذكر الموت:



كل حي سيموت

وبعد أحبائنا الكرام؛ حديثي اليوم عن أكثر موضوع واقعي، يوجد مصطلح عند الناس يقول لك: هذا موضوع واقعي، إنسان واقعي، وهناك شخص مفصول عن الواقع، فاليوم الحديث واقعي جداً، بعض الناس يتخرجون منه، إنه أشد حدثاً واقعية، كلنا نشترك فيه، كل إنسان ولد، كل حي سيموت، كلنا نشترك بالحدث، هذا الحدث الواقعي المهم، لكن نتحاشى ذكره كثيراً في البيوت، الناس تعودت أن تخاف من ذكر هذا الموضوع، مع أنه أشد حدث واقعي نشترك به جميعاً، ولا نعرف موعده، فيجب أن يكون له نصيب من حديثنا بشكل مستمر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بذلك فقال: " أكثروا ذكر هازم اللذات "، هازم؛ أي قاطع، يهزمها؛ أي يقطعها، أو هادم؛ يهدمها، وهو مشتت الجماعات، ومفرق الأجيال، فهو حدث سيحصل، أنكره الإنسان أم لم ينكره، رضيه أم لم يرضه، فهو واقعي، الغني والفقير، والقوي والضعيف، والأمير والخفير، كل الناس، صغير، كبير، دون أي استثناء.

فكر مغلوطة تتعلق بالموت:

لكن أريد أن أتحدث عن الموضوع بطريقة مختلفة عن الطريقة التقليدية نوعاً ما، أريد أن أتحدث عن أربع فكر مغلوطة تتعلق بهذا الحدث المهم، أربع فكر هي خطأ لكن الناس تعودوا عليها، عوام الناس وليس الأخوة أمثالكم، لكن من أجل التعلم، أتم تعلمون ذلك، لكن عوام الناس لا ينتبهون إلى هذه الفكر الأربع المغلوطة حول الموت.

1 - الموت هو النهاية:



الموت هو نقطة على طريق

الفكرة الأولى التي من غير أن ننتبه لها نقولها، أن الموت هو النهاية، الحي له نهاية ويموت، أولاً: الموت ليس هو النهاية، الموت هو نقطة على طريق، وبعدها مازال هناك طريق طويل، وهو أبد ليس له نهاية، فالموت هو نقطة في بداية الطريق وليس نهاية، أبداً، بالعكس هو بداية حياة أخرى قد تكون إن شاء الله أجمل بكثير، وأحلى بكثير من الحياة التي نعيشها، هذه النقطة الأولى.

لذلك الموت هو انتقال من حياة إلى أخرى بصيغة مختلفة، بطريقة مختلفة، غير الحياة التي ألفناها، عبر بوابة، هذه البوابة تسمى البرزخ، نحن في الحياة الدنيا، ويوجد برزخ بوابة عبور إلى حياة أخرى ممتدة إلى اللانهاية تسمى: الحياة الآخرة، فنحن منذ أن خلقنا كنا في العدم وانتقلنا إلى الحياة الدنيا، ثم هناك الموت، البرزخ، الحياة الآخرة إلى ما لا نهاية، فالإنسان لم يخلق ليفنى، بمعنى الفناء المطلق، فالموت هو فناء الجسد في لحظة معينة لكن الحياة مستمرة.

تماماً كمثل كنت أسمعه: إنسان ذهب إلى بلد غربي ليدرس، الدراسة في الغربية صعبة لا سيما إذا كان الأب غير مقتدر مادياً، أي أن الابن سيعتمد على نفسه، فلا بد من أن يدرس في النهار، ويعمل في الليل، ينام ساعتين أو ثلاثاً في اليوم، ويعمل في المطاعم في غسل الصحون من أجل أن يؤمن أفساط الدراسة، فيمضي خمس سنوات من عمره صعبة جداً، بغاية الصعوبة، ثم يحصل على الشهادة العليا فيعده بعض المسؤولين في بلده وقد أحرز هذه الشهادة بأنه سيعود الآن إلى بلده برتبة وزير صحة فرضاً، مع بيت في أهم مكان في العاصمة، وشاليه على البحر، ومع دخل كبير جداً لما أحرزه من هذه الشهادة، الآن هو سيخرج من هذا البلد، وضع رجله في الطائرة، وترك وراءه كل الآلام، وبدأت رحلة مختلفة من نوع جديد فيها كل التكريم، هذا هو الموت بالنسبة للمؤمن، انتهت الآلام وبدأت الرحلة الجديدة المختلفة الجميلة جداً.

دعكم مما أنكروه أحياناً على بعض خطباء المساجد، أو بعض الدعاة، والوعاظ في أنهم دائماً بصورون الموت على أنه حالة مخيفة جداً، لا أبداً، الخوف هو للإنسان الشارد البعيد عن الله، والموت مصيبة، فقد انتهى الاستمتاع المؤقت في الحياة، وجاءت لحظة الحساب، أما الموت فهو تحفة المؤمن، وعرس المؤمن، وجنة المؤمن، لأنه ينتقل إلى حياة أجمل، وينتقل إلى صحبة أجمل، هناك الحياة الحق، لذلك يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24)

[سورة الفجر]

هناك الحياة وليست هنا، فهو لم يقدم لحياته التي هي الحياة الآخرة التي سبحانه.

فالنقطة الأولى: أن من يقول إن الموت هو النهاية، نقول له: الموت ليس هو النهاية، الموت هو نقطة على خط متصل طويل ممتد إلى الأبد، والموت نقطة في هذا الخط، وهي لحظة سرور عظيمة جداً للمؤمن، ولحظة ألم قد يستمر إلى الأبد، وقد يستمر إلى وقت طويل بالنسبة لغير المؤمن.

التعريف الشرعي للموت:

التعريف الشرعي للموت: مفارقة الروح للبدن، التعريف الطبي: الأطباء مختلفون بين أنه موت الدماغ، أو موت القلب، وحتى روابط العالم الإسلامي اختلفت في تحديد الموت الحقيقي هل هو موت الدماغ أم القلب، لكن اتفقوا لو أن إنساناً - وهي حكم فقهي على الهامش - مات دماغه بشكل كامل كلي، ومازال هناك بعض الحركات اللاإرادية أو ما زال القلب ينبض فيحوز رفع أجهزة الإنعاش عنه، وترك الأمر إلى الله عز وجل، هذا حكم فقهي أصدره مجمع الفقه الإسلامي لأن بقاءه على أجهزة الإنعاش هو محاولة لإبقاء القلب ينبض مع أن الإنسان قد توفي بشكل كامل، فيجتمع الأطباء ويقررون إزالة المنفسة، أو جهاز الإنعاش، وترك الأمر لله تعالى، فإن مات مات، لكن طبيباً ما زالوا مختلفين، هل هو موت الدماغ أم موت القلب، توقف القلب أم موت الدماغ حتى يحكم أنه توفي، ويعطى شهادة وفاة.

أما شرعاً: فهو خروج الروح من البدن، والروح أيها الأخوة الكرام من أمر الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحن لا نستطيع أن نفقه حتى اليوم طبياً ولا اجتماعياً ما الذي يحدث تحديداً، ما هي الروح؟ كيف تدب في الجسد؟ فيصبح كلية تعمل، وكبداً يقوم بألاف الوظائف، وعيناً تبصر، وأعضاء تتحرك، ومشاعراً، وكذا، ثم تنزع الروح فيصبح الجسد جثة هامدة، وتذهب الروح إلى بارئها، ويتبعها البصر، ثم تصعد إلى الله، وتبدأ رحلة النعيم للمؤمن، ونسأل الله السلامة رحلة العذاب لغير المؤمن، فهو مفارقة الروح للبدن.



النفيس لا تموت

نحن نسعم مصطلحات يقولون: الروح، والنفيس، والجسم أو البدن، على اختلاف بين الجسم والبدن، أن البدن متى يسمى بدءاً أو جسمًا، أي الهيكل، الشيء الذي نراه بأعيننا هو الجسد، فعدنا روح، ونفيس، وجسد، بعض العلماء أو كثير من العلماء يقولون: إن الروح هي النفس نفسها، لكنها تسمى نفساً قبل الخروج، وعندما تخرج تسمى روحاً، تكون نفساً ثم يصح اسمها الروح، والبعض قال: لا، النفس شيء، والروح شيء، لأن هناك حديثاً عن النفس والروح، إذا أحضرنا حاسوباً، الجسد هو ما تراه بعينك، الكيبورد، والماوس، والشاشة، والأجهزة الداخلية، هذا الجسد، النفس هي المعالج الأساسي الذي يحوي المعلومات والذواكر، إلى آخره، والروح هي القابس الكهربائي، الكهرباء، إذا سحبت الروح يصبح الجسد جثة هامدة، والنفس تذهب إلى خالقها جل جلاله، فالنفس لا تموت، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْجِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُزُورِ
(185)

تذوقه عند لحظة انفصال الروح عن البدن لكنها تبقى، فإما أن تتعم، وإما أن تعذب نسأل الله السلامة إلى يوم الحساب، ثم بعد الحساب تخلص إما في جنة يدوم نعيمها، أو في نار لا ينفذ عذابها نسأل الله السلامة.

على كل حال؛ الذي كنا نريد أن نقوله، أو الفكرة المغلوطة التي يتحدث بها الناس عن الموت أن الموت نهاية، الموت ليس نهاية، الموت بداية لحياة أخرى مختلفة، جميلة جداً، رائعة جداً للمؤمنين، وغير ذلك لغير المؤمنين، نسأل الله السلامة.

2 - الموت مخيف:



الابتعاد عن أسباب المرض مطلوب

الفكرة الثانية المغلوطة الناس يقولون: الموت مخيف، عندما كنا صغاراً إذا حصل موت عند الجيران وأراد الطفل أن يخرج إلى الشرفة، يقوم الأهل بإدخاله حتى لا يرى هذه المصيبة الكبيرة، لا تدع الولد يرى الميت، لا يتعاملون مع الموت على أنه حدث عادي، المفروض أن نعلم الطفل أن الموت عادي جداً، وهو نقطة كما قلنا أي نهاية الحياة الدنيا، وبداية الحياة الآخرة بهذا الشكل، يصفون الموت على أنه وحش مخيف، بأيام كورونا، طبيعياً الاختراز ورعاية النفس واجب عظيم جداً، كلنا مسؤولون عن ذلك لأن ربنا عز وجل أمر بحفظ النفوس، فالوقاية من العدوى، والابتعاد عن أسباب المرض كله مطلوب، لكن بولغ جداً جداً بقضية الموت على أنه شيء ينتظر، أي مخيف جداً، مثلاً يقولون لإنسان كبير في السن: لا تذهب إلى المسجد، وهو حياته كلها معلقة بصلاة الفجر في المسجد، والموت بالنسبة له أقل شيء، أقل من ترك المسجد في الصلاة فرضاً، ضمن الحفاظ على الصحة مطلوب جداً، لكن التهويل بقضية الموت وعلى أنه شيء مخيف، وصاعق، ومدمر، ونهاية، ولا تعرف ماذا سيحصل بعد ذلك، هذا أمر ليس شرعياً، النبي صلى الله عليه وسلم ما تعامل بتلك الطريقة مع الموت.

الصحابة الكرام كانوا في أسعد لحظات حياتهم وهم يقابلون وجه ربهم:

سأعطيك بعض النماذج الطيبة، سيدنا بلال الحبشي رضي الله عنه، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما حضرته الوفاة، تقول له ابنته: واحزنناه، واكرهناه على أبتاه أي الفراق صعب، واحزنناه، فيقول بلال رضي الله عنه: بل قولني: واظرباه، مطروب سيدنا بلال، بل واظرباه، غداً نلقى الأحياء، محمداً وحزبه، فكان في أسعد لحظات حياته وهو على فراش الموت.

هناك كتاب كنت قرأته في الثانوية اسمه: عظماء على فراش الموت، يشترك كل العظماء على فراش الموت أنهم كانوا في أسعد لحظات حياتهم في لحظة لقاء ربهم. سيدنا معاذ بن جبل لما جاءه الموت قال: مرحباً بالموت مرحباً، زائر وفد بعد غياب، وحبیب جاء بعد فاقه، أي وجهه شيئاً جميلاً.

عمر بن عبد العزيز، خامس الخلفاء الراشدين رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: أمّا الذي عندي فهو تقصيري، أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت، يخاطب ربه جلّ جلاله، ولكن لا إله إلا الله، ثم نظر ورفع رأسه إلى السماء فقالوا: ما ترى؟ قال: لا رأيت إنساً ولا جنّاً، لكنه كان يرى مخلوقات جميلة جداً، ثم تلا قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَلِكُ الدَّارِ الآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)

[سورة القصص]

فهم كانوا في أسعد لحظات حياتهم وهم يقابلون وجه ربهم، فالموت ليس مخيفاً كما يصوره البعض، الموت جميل للمؤمن، الخوف لا يكون من الموت، بل من الذنب، لذلك جاء في بعض الآثار عن بعض الصحابة الكرام: " لا يخافن العبد إلا ذنبه "، لا تخف من الموت، ولا من المصائب، ولا من الكوروتا، ولا من الطغاة، ولا من المجرمين، لا يخافن العبد إلا ذنبه، خف من شيء واحد أن تذنّب فتب فوراً، الباقي لا يخيف، الموت جميل جداً مع الطاعة، تلقى الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا
(110)

[سورة الكهف]

الحكمة من تسمية الموت بالمصيبة:

إذا أيتها الكرام؛ من يقول: الموت مخيف، نقول له: الصواب أن تقول: الموت مصيبة، الله تعالى قال في القرآن الكريم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ أَحْرَبَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ صَرِّتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَتُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لَا تَشْرِي بِهِ تَمَنَّا وَلَوْ كَانَ دَا قُرْبَىٰ وَلَا تَكُنْمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (106)

[سورة المائدة]

سماها مصيبة، فيها فراق أحباب، فيها انتقال من عالم إلى عالم، والمصيبة سميت مصيبة لأنها تصيب الهدف، تأتي في الوقت المناسب الذي يريد الله، وفي القدر المناسب، وينزل الله من الصبر على قدر ما ينزل من المصائب، جلّ جلاله، ويعين العبد على المصائب.

أيها الكرام؛ سماها الله مصيبة لكن ليست كل مصيبة مخيفة بهذا الذي يصور لنا على أن الموت خوف أبداً، هذه النقطة الثانية.

3 - الموت انتقال إلى المجهول:



الموت انتقال من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة

الفكرة المغلوطة الثالثة التي يتحدث فيها الناس، يقول لك: الموت انتقال إلى المجهول، لا أعرف إلى أين أنا ذاهب، لا، هذا الكلام غير صحيح، نحن في الدنيا عندنا أحياناً مجهولات، هل منا أحد يعرف ماذا سيحدث معه غداً؟ ولا بعد ساعة، ولا بعد دقيقة، هذا الغيب، نحن محكومون بالغيب، بعد الموت واضح جداً، لأن الله تعالى أعطاك ماذا سيحدث بالتفصيل على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي قرآنه أولاً، ورسم لك الخطأ، وأعطاك الأسئلة، أي أسئلة الامتحان مسربة بشكل نظامي، مطبوعة، ومختومة، خذ هذه الأسئلة سيسألونك إياها، هنا تجاوبهم، هو ما أخفى عليك شيء جلّ جلاله، لماذا يقول الإنسان: أنا ذاهب إلى المجهول؟ لا، أبداً، هذا البعيد عن الله ذاهب إلى المجهول، لأنه سيذهب من كل شيء إلى لا شيء، الموت بالنسبة له انتقال من كل شيء إلى لا شيء، أما المؤمن فهو ذاهب من أشياء قليلة محدودة إلى كل شيء، لأن السلف كانوا يقولون: إن المؤمن ينتقل من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة بالموت كما ينتقل الجنين من ضيق البطن إلى سعة الدنيا، تصور الجنين يكون في رحم أمه بمساحة سنتمترات مربعة، ثم ينتقل إلى سعة الدنيا، كيف يكون؟ بالطريقة نفسها ينتقل المؤمن من ضيق الدنيا، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فينتقل من الضيق إلى السعة فهي ليست ذهاباً إلى المجهول أبداً، هي ذهاب إلى المعلوم، لكن هذا المعلوم هو معلوم بالخبر الصادق الذي تحدثنا عنه في اللقاء السابق، معلوم ليس بالحس والمشاهدة وإنما بالخبر الصادق، ونحن نصدق ما جاءنا عن الله تعالى، وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وكأننا نرى الأمر بأعيننا.

على الإنسان أن يتلقى خبر الله وكأنه يراه:

لذلك يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1)

[سورة الفيل]

هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ما الذي فعله الله بأصحاب الفيل؟ هو ولد في عام الفيل، ما رأى، لماذا لم يقل له: ألم تسمع؟ لأن خبر الله ينبغي أن تتلقاه كأنك تراه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6)

[سورة الفجر]

عاد قوم قديمون جداً، لكن قال له: (أَلَمْ تَرَ)، في آية أخرى يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَاتُهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (1)

[سورة النحل]

(أَتَى): أي جاء وانتهى، (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ): لم يَأْتِ، لا تستعجلوه، لكن عندما يكون الأمر أمر الله تعالى فإن إتيانه واقع لا محال، فيعبر الله عنه بصيغة الماضي، أتى وانتهى، ولو أنه لما يَأْتِ، لكن (أَتَى أَفْرَأُ اللَّهَ) تشبه - نسال الله السلامة - إنسان يقود مركبته في نزول منحدر جداً، ونهايته مؤلمة، وفقد القدرة على التحكم بالسيارة، لا يوجد زيت فرام، ماذا يقول لمن بجواره؟ انتهينا، متنا، يوجد معك دقيقتان ثم تقرر، يقول: انتهينا، لا يقول: سننتهي، بل انتهينا، لأن الأمر انتهى، لم يعد هناك أي مجال حتى يتكلم به بالمستقبل، يتكلم به بصيغة الماضي.

ربنا عز وجل يقول: (أَتَى أَفْرَأُ اللَّهَ) ما دام سيأتي فقد أتى، اعتبره جاء وانتهى، لذلك نحن معلوم لدينا ما بعد الموت، من لحظة مفارقة الروح للبدن بشكل واضح جداً من خلال الخبر الصادق الذي هو أصدق عندنا من رؤية العين.

منازل الآخرة:

ماذا هناك؟ مثلاً بشكل سريع، أولاً: القبر، القبر أول منازل الآخرة، القبر كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: كان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته فيقال له: قد تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فيقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما رأيت منطراً إلا والقبر أقطع منه {
[أخرجه الترمذي والحاكم]



مرحلة القبر فيها عذاب وفيها نعيم

بدأت منازل الآخرة، بعد القبر يوجد فتنة القبر، ملكان يسألانك عن قضايا التوحيد والعقيدة، ليس عن السلوك، عن المنطلقات، موحداً؟ تشهد لله عز وجل؟ تشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسالة؟ تؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؟ انتهى هنا، هذه فتنة القبر انتهت هنا، فتنة الملكين، أو فتنة القبر، بعد فتنة الملكين يرى الملائكة، إذا كان من أهل الصلاح ملائكة بيض الوجوه، وإذا كان من أهل الفساد - نسال الله السلامة - ملائكة سود الوجوه، هذه مرحلة القبر، فيها عذاب وفيها نعيم، اليوم يوجد موضحة إنكار عذاب القبر يحونها على الفيس بوك، لماذا؟ لا أعرف، أنا صدقاً لا أعرف لماذا يحبون أن ينكروا عذاب القبر، طبعاً لا أحد ينكر نعيم القبر، لكن لا أحد يتكلم عن ذلك، لأن النعيم حلو، يوجد نعيم ويوجد عذاب، وأيضاً يوجد غلط من بعض الدعاة يتكلمون عن عذاب القبر ولا يتكلمون عن نعيم القبر، القبر روضة من رياض الجنة، بمد له في قبره مد بصره، يرى مقعده في الجنة فينهض، يريد أن يقوم إلى مقعده، يقال له: اسكن، الآن تمتع بالانتظار، بانتظار هذا اليوم العظيم، يوم دخول الجنة، والكافر يرى مقعده من النار، فالمسألة نعيم وعذاب، وهو ثابت في الكتاب والسنة، والنبي صلى الله عليه وسلم ما كان يترك الاستعاذة من عذاب القبر، قبل السلام في كل صلاة يقول:

{ عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ 'كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِّ وَالْمَعْرَمِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَعْرَمِ؟ فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا عَرِمَ حَدَّتْ فَكَدَّبَتْ، وَوَعَدَ قَآخَلَفَ {

[أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي]

يستعيز من أربعة أشياء، ولما مرّ على قبرين، قال:

{ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال : ' مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَبْرَيْنِ، فَقَالَ: **أَمَا إِنَّهُمَا لَيَعَذَّبَانِ، وَمَا يَعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**، ثم قال: بلى، أَمَا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، قَالَ: فَدَعَا تَعْسِيبَ رَطْبٍ فَشَقَّهَ بَاطْنَيْنِ، ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا، قَمِ قَالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَتَّيَّبَسَا {
[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي]

سألته السيدة عائشة عن عذاب القبر فقال:

{ عن عائشة رضي الله عنها: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، قالت عائشة: فسألته رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر؟ فقال : **نعم، عذابُ القبرِ حقٌّ**، قالت: فما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوَّذَ من عذاب القبر {
[أخرجه البخاري ومسلم والنسائي]

صلى الله عليه وسلم، فهناك عذاب وهناك نعيم في القبر، ودائماً الأحاديث تصف النعيم للمؤمن، والعذاب لغير المؤمن، فهنا الآن منازل الآخرة، بعد ذلك يكون البعث من القبور، أي هذه حياة البرزخ قبل البعث من القبور، حياة جميلة جداً بانتظارك، ما حياة البرزخ؟ شخص محكوم بالإعدام نسال الله السلامة، أودعوه في السجن، كل يوم يحدث شيء يريدون أن يطلبوا سجيناً، أن يدخلوا طعاماً، أن يعطوا تعليمات، يضعون المفتاح الحديدي بالباب الحديد ويفتحون فيهبط قلبه، يظن أنهم قد جاؤوا لاقتياده إلى حبل المشنقة، يقولون: اليوم فلان من أجل المراجعة، عنده زيارة، فيسكن، أغلق الباب، وكلما وضعوا المفتاح في الباب ترتعد فرائضه هذا عذاب القبر، أي هو في انتظار - والعياذ بالله - مقعده من النار وبالمقابل إنسان يريد أن يدخل على ملك عظيم، وقد أعد له ما أعد.

{ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: **أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَدُنُ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٌ** {
[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي]



انتظار النعيم نعيم

مهياً له، والطعام، والشراب، والجلسة الجميلة، والأنهار، وكذا، هو جالس بقاعة الانتظار، مكيفة، وفيها شاشة كبيرة يرى ماذا أعد له، وينظر هكذا، وكلما قالوا يقول: هيا، الثاني يعيش بحجم لأنه ينتظر الحميم، والمؤمن يعيش بنعيم لأنه ينتظر النعيم، فانتظار النعيم نعيم، وانتظار الحميم حميم نسال الله السلامة، فبعد حياة البرزخ يكون البعث من القبور، بعد البعث من القبور يكون الذهاب إلى أرض المحشر، والوقوف في هذا الموقف المهيب، والشمس تدنو من رؤوس الخلائق، ثم يكون الحوض المورود، حوض النبي صلى الله عليه وسلم، ويشرب منه من أمته كل من لم يبدل، ولم يغير، وإنما ثبت على الحق، وعلى العباداة، والطاعة، وعلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيشربون منه، من هذا الحوض المورود، ثم يرفع لكل نبي حوض فتشرب منه أمته، سيدنا عيسى، وسيدنا موسى، بعد حوض محمد صلى الله عليه وسلم، ثم تكون الشفاعة العظمى للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي بدء الحساب للخلائق، كل نبي يتهبب هذه الشفاعة، لكن محمداً صلى الله عليه وسلم يشفع لجميع الخلائق بأن يبدأ الحساب بعد الوقوف في أرض المحشر، ثم يكون العرض، العرض عرض الأعمال، كل إنسان تعرض عليه أعماله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِجُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (29)

[سورة الجاثية]

يرى أعماله أمامه بلحظة، يرى كل الدنيا، بما فيها من خير ومن شر، هذا يسمى: العرض، وعرض الأعمال، وبعد العرض يكون الحساب، وبعد الحساب تتطابى الصحف، فمنهم من يأخذ صحيفته بيمينه، ومنهم من يأخذ صحيفته بشماله، أعادنا الله وإياكم منهم، ثم يكون بعد ذلك حساب من نوع آخر لقطع المحاجة، أي بعد تطابى الصحف، والأخذ، هناك تثبيت للحساب، كما ورد في الصحيح، وبعد ذلك يكون الميزان، فتوزن الأعمال، وبعد الوزن ينقسم الناس إلى أزواج.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَرْوَاهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ (22)

[سورة الصافات]

الأزواج هنا بمعنى كل على شاكلته، فهناك زمرة - نسأل الله السلامة - الزناة، وزمرة الطغاة، وزمرة القتلة والمجرمين، وهناك زمرة المصلحين، وزمرة طلاب العلم، وطلاب الخير، وزمرة الطائعين، وزمرة المحسنين، وزمرة المختبين، المختبين؛ أي الخاصين لمنهج الله وهكذا طوائف وأزواج، وبعد ذلك يعبرون الصراط، ويقول صلى الله عليه وسلم: " اللهم سلم، اللهم سلم، اللهم سلم، اللهم سلم، اللهم سلم، فمنهم من يعبر الصراط بسرعة، ومنهم من يتلصق، ومنهم من ينزل في النار والعياذ بالله تعالى، ثم بعد ذلك يكون الاجتماع فيما يسمى بالقنطرة، في عرض من عرضات الجنة، أي ساحة، قنطرة، هؤلاء استحقوا الجنة لكن ما زال بينهم مظالم، هذا استحق الجنة، وذاك استحق الجنة، لكن هناك مظلمة بسيطة بين الطرفين، لم يستحقوا النار عليها، لكن ينبغي تصفية كل الحسابات لأنه عدل جل جلاله، فتسوى الحسابات في هذه القنطرة، ثم بعد ذلك يدخل أهل الجنة الجنة، فأحدهم أهدى بمنزلته في الجنة من منزله كان يعرفه في الدنيا، ويدخل أهل النار النار، ويساقون إليها والعياذ بالله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُيْحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73)

[سورة الزمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُيْحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)

[سورة الزمر]

إذا الموت ليس انتقالاً إلى المجهول، بل إلى المعلوم، هل يوجد أكثر من هذا علم؟ فقط عناوين، الأحاديث بالصفحات، اقرؤها، فالأمور معلومة واضحة، المؤمن يعرفها لكن من الذي ينتقل إلى المجهول؟ الذي لم يقرأ، ولم يطلب العلم، ولا يعرف شيئاً من هذا والعياذ بالله يجلس في القبر، يقول: من ربك؟ فيقول: لا أعرف، فيضرب ضرباً شديداً، هو قصر، كل الأمور كانت واضحة وهو لم يسع في المعرفة، هذا ينتقل إلى المجهول، أما المؤمن فينتقل إلى المعلوم، ينتقل من الممر إلى المقر، ينتقل من الكدح والتعب إلى الراحة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)

[سورة الانشقاق]

ينتقل من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، فنحن لسنا إلى مجهول كما بصور البعض، يقول لك: الموت إلى المجهول، لا أبداً.

4 - ذكر الموت مثبط ومحبط:



ذكر الموت محفز

الفكرة الرابعة والأخيرة، وهي فكرة غير صحيحة يتكلم فيها البعض: ذكر الموت مثبط، ومحبط، بمعنى أنت أيها الشيخ لم تجد موضوعاً تتكلم فيه إلا عن الموت، تكلم لنا عن الحياة، ومصانع السيارات، والدنيا، وكذا، كي نتشجع ونعمل، ألا يكفي أننا أمة مقهورة وفوق ذلك كله موت، فوق الموت ضغطة قبر، يا شيخ، تكلم لنا عن الحياة، سرنا بالحياة، لا نريد أن نتكلم لنا عن الموت، ذكر الموت ليس مثبطاً، ولا محبطاً، ومسرّع الخطا إلى الله، نحن عندما نتحدث عن الموت يجب أن نخرج اليوم جميعاً بروح مختلفة، بتسوية الحسابات السابقة، بالاندفاع إلى أعمال صالحة جديدة، بعمارة الدنيا بطريقة مختلفة، بتوبة صالحة، نحن لن نثبط، ولن نحبط، ذكر الموت ليس حركة سلبية، هو حركة إيجابية مطلقة.

سأقول لك مثلاً: أنت سافرت إلى أوروبا مثلاً، بلدك هنا، سافرت، السفر يوم الخميس، أنت سافرت السبت، سبت، أحد، اثنين، يوم الثلاثاء اقتربت ساعة الرجيل تذكرت، أريد أن أرجع، الأرباء والخميس يكون نشاطك أكبر بكثير تريد أن تتمم أغراضك، لم تعد تمان لأن الرجيل قد اقترب، فهل ذكر ساعة الرجيل أحبطك أم حركك؟ كذلك الموت، عندما نذكر أننا سنرحل إذا دعنا نستعجل، دعونا نستعجل الأعمال الصالحة، نستكثر من الأعمال الصالحة، نستكثر من التوبة، هذا هو الهدف.

لذلك قال بعض السلف الصالح، أوردتها القرطبي عن أحد العلماء، قال: من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة؛ يسارع إلى التوبة لأنه لا يعلم متى يلقى الله، وقناعة القلب؛ أي يقنع قلبه بما آتاه الله من الدنيا، من رزق، من صحة، من عافية، يقنع، لأن الموت قادم، ما ذكر الموت في قليل إلا أكثره، ولا في كثير إلا قلله.

ملك قال لوزيره: قل لي كلاماً إن كنت حزناً أفرح وإن كنت فرحاً أحزن؟ قال له: كل حال يزول، فالحزين يفرح لأن كل حال يزول، فهو في حزنه سيزول، والفرح يحزن لأن الفرح سيزول أيضاً، فقال له: قل لي كلاماً إن كنت حزناً أفرح وإن كنت فرحاً أحزن؟ قال له: كل حال يزول، لا يبقى شيء على ما هو.

من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، وتنشيط للعبادة والطاعة بمفهومها الواسع، حتى في عمله، لأن عمله سيدر عليه مالاً، والمال سينفقه في الطاعة، فسيرقى عند الله، فالعبادة واسعة، ونشاط العبادة بشكل عام.

قال: ومن نسي الموت عُوقب بثلاثة أشياء: تسويق التوبة، نقول لك: نحن صغار، أين نحن من الموت؟ اتركنا، الأيام قادمة، فيسوف التوبة، وسوف جندي من جنود إبليس، والثانية؛ يترك الرضا بالكفاف، لا يقنع بما رزقه الله، يريد أكثر وأكثر وأكثر، لأنه لم يضع نقطة ينتهي فيها، والكسل في العبادة، يكسل عن العبادة، ويلتفت إلى الدنيا لأنه لا يذكر الموت.

تصحيح للفكر المغلوطة عن الموت:

لذلك أيها الأحباب هذه أربع أفكار مغلوطة عن الموت، الموت ليس النهاية وإنما هو انتقال من حياة إلى أخرى، الموت ليس مقيماً وإنما هو مصيبة، لكنها للمؤمن نجاته وفوز وفلاح، ولغير المؤمن خسران نسال الله السلامة، والموت ليس انتقالاً إلى المجهول ولكنه انتقال إلى معلوم بدقة، بالخير الصادق، والموت ليس شيئاً مثبطاً، ولا محبطاً، وإنما شيء محرك، ودافع، ومجمل للتوبة، وللخير.

هذه الفكر الأربعة مغلوطة عن الموت، وهذا تصحيحها.

قالوا في الختام: الموت سهم وجه إليك، وعمرك بقدر وصول السهم إليك، أي نحن محكومون بالموت مع وقف التنفيذ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (30)

[سورة الزمر]

مناسبة الحديث عن الموت اليوم أن أحد الأخوة الذين لهم معرفة خاصة في قلبي وكنت قد وعدتهم على اللقاء في تركيا بعد أيام، توفاه الله من غير سابق إنذار، موت مفاجئ، في بيته رجوعاً فوجدوه قد توفي رحمه الله في الشام، نسال الله أن يتغمده بواسع رحمته، فنظرت في هذا الحال، الإنسان أحياناً يعد خطة، أسافر، وأفعل، ثم يفاجئه الموت، فهو حدث واقعي لا ينبغي أن نتجاهله، لكن في المقابل والله دخل إلى قلبي من السرور لما علمت عن نداء الناس عليه، وعن أعماله الصالحة، وعن سعيه في البر والخير ما دخل، فخفف من ألم الفراق، لأنه ذهب إلى شيء فيما أحسب ولا أركبه على الله ذهب إلى شيء أفضل من دنيانا التي نحن فيها، فصرت أنظر بقضية الموت بهذه الطريقة.

فأحبابنا الكرام؛ الموت مصيبة لكن نحن إن شاء الله بالنسبة للمؤمنين الموت تحفة، والموت عرس، والموت لقاء مع المحبوب جل جلاله.

الوقت والمال:



الوقت أثنى من المال

الوقت أثنى أم المال أثنى؟ الدليل: إنسان يملك بيتاً فقط لا يوجد عنده غيره، أصابه مرض عضال، راجع الطبيب قال له: لا بد من إجراء عمل جراحي، لكن كلفته عالية في بلد مجاور، بكلفك بيع بيتك، فوراً بيع بيته، ويستاجر، ويجري الجراحة بثمن بيته، لأنه يتوهم أن هذا العمل الجراحي سيزيد في عمره، أي يعطيه وقتاً، أي بدل أن يموت بالثمانين يموت بالتسعين فرضاً، طبعاً الموت لا يتأخر، لكن هو وفق منظورنا نحن إن شاء الله أعمل العملية، وأعيش أكثر، فهو قدم المال وضحي بالمال من أجل الوقت، من أجل العمر وهو الوقت.

خرجنا الآن من هذا الباب وجدنا إنساناً قد أمسك بيده رزمة من الدنانير، ثم أحرق هذه الرزمة وألقاها في القمامة، ما الحكم عليه؟ مجنون، سفيه، يحجر عليه فوراً، هذا غير قادر على التصرف بالمال، سفيه، الآن الناس الذين يصرفون أوقاتهم بمعصية الله والوقت أثنى ما يكون، أثنى من المال، ما هذا؟ مثلاً يجلس بلعبة النرد للساعة الثانية ليلاً، ربما ينام ولا يستيقظ لصلاة الفجر، والعياذ بالله، ينفق وقته ليس في الحلال بل في الحرام، هو المال يخشى عليه أن يتلفه والوقت؟

فنحن أخواننا الكرام؛ عندما نجلس بمجلس علم، وعندما نتواصى بالحق، وبالصبر، وبالطاعة، وبالخير، فنحن إن شاء الله نتلافى الخسارة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (3)

[سورة العصر]

والحمد لله رب العالمين